**المحاضرة العاشرة**

**ثانيا: علاقة الصوت بالمعنى**

ولهذه العلاقة صور متعددة في اللغة العربية، نوجز أهم مظاهرها:

١. **مقابلة اللفظ للصوت:** قال ابن جني: (فأمَّا مقابلة الألفاظ بما يُشاكِل أصواتها من الأحداث فبابٌ عظيم واسع، ونهج مُتْلَئب عند عارفيه مأموم؛ وذلك أنَّهم كثيرًا ما يَجعلون أصوات الحروف على سَمْت الأحداث المعَبَّر بها عنها، فيعدلونها بها، ويَحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدِّره، وأضعاف ما نستشعره) .

من ذلك قولهم: (خَضم وقضم)، فالخَضْم لأكل الرطْب؛ كالبِطِّيخِ والقِثَّاء، وما كان من نحوهما من المأكول الرطب، والقضْمُ للصلب اليابس؛ نحو: قضمَتِ الدَّابةُ شعيرها، ونحو ذلك. وفي الخبر: "قد يُدرك الخَضْم بالقَضْم"؛ أي: قد يدرك الرخاء بالشدة، واللِّين بالشَّظَف، وعليه قول أبي الدَّرْداء: "يَخْضمون ونقضم، والموعد اللَّه"، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حَذْوًا لمسموع الأصوات على مَحْسوس الأحْداث.

ومِن ذلك قولهم: (النَّضْح للماء ونحوه، والنَّضْخ أقوى منه)؛ قال اللَّهُ -سُبْحَانه -: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ ، فجعلوا الحاء لرقتها للماءِ الخفيف، والخاءَ لِغَلَظها لما هو أقوى منه.

**٢. المناسبة بين تقارب الحروف وتقارب المعنى:**

وهذا كثير في كلام العرب؛ إذ الحُرُوف تقاطيع صوْتيَّة، بينها تقاربات في الإيقاع والمخرج والصفة، كمقاربة الصاد للضاد، والسين للصاد، والتاء للطاء، ومثال ذلك:

قولهم: (الوَسِيلة والوَصِيلة)، والصاد أقوى صوتًا من السين؛ لما فيها من الاستِعلاء، والوَصِيلةُ أقوى معنًى من الوسيلة، وذلك أن التوسُّل ليست له عِصْمة الوصل والصلةِ، بل الصلة أصلها من اتِّصال الشيء بالشيء ومماسَّتِه له، وكونه في أكثر الأحوال بعضًا له، كاتِّصال الأعضاء بالإنسان وهي أبعاضه ونحو ذلك، والتوسُّل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسِّل

جزءًا أو كالجزء من المتوسَّل إليهِ، وهذا واضح، فجعلوا الصاد لقوَّتِها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف.

ومن ذلك قولهم: (صعِد وسعِد)، فجعلوا الصاد - لأنها أقوى - لما فيه أثر مشاهَد يُرىَ، وهو الصعود في الجبل والحائط ونحو ذلك، وجعلوا السين - لضعفها - لما لا يظهر ولا يشاهَد حِسًّا، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجَدِّ، لا صعود الجِسم، ألا تراهم يقولون: هو سعيد الجَدِّ، وهو عالي الجَدِّ، وقد ارتفع أمره وعلا قَدْره، فجعلوا الصاد لقوَّتِها مع ما يشاهَد من الأفعال المعالَجة المتجشَّمة، وجعلوا السين لضعفِها فيما تعرفه النفس، وإن لم تَره العين، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية... فالأَثر فيها أقوى فكانت بالحرف الأقوى - وهو الصاد - أحرى.

**٣. اختصار المعاني في المباني:**

جعلت العرب للفظ دلالات تتغير بتبدل التراكيب، وتوارد السياق وتدارك اللحاق، كما جَعَلَتْ لكثير من المعاني التي يقتضيها اللفظ في التراكيب المتنوعة مبانِيَ مناسبة كيما تختصر؛ لذا تجد العرب تعرب عن مرادها بأقل المفردات، فكانتْ تحكم المعاني في دلالات المباني، وإذ الباب واسع، وما يواري الباب سعته من اتِّساع بابه، اقتضى الاختصارُ ضربَ المثل، فيكون الكلام بما قَلَّ، غير أنه للمراد أدل، وللفهم أجل.

مثال ذاك: لفظ "النظر"، فهو تقليب للبصر مع استغراق وقت؛ إذ يقاربه في المعنى الانتظار، فلا يكون النظر بسرعة بل بتمهُّل؛ لأنَّ الغايةَ من تقليب البصر وتحديق العين الوصولُ إلى إدراك المنظور إليه؛ لتحصلَ منه الرؤية، وقد يراد به التأمل والفحص، والمعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهي الرويَّة، واستعمالُ النظر في البصَر أكثرُ عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة.

فيقال: نظرت إلى كذا، إذا مددت طرفك إليه، رأيته أم لم تره، ونظرت فيه: إذا رأيته وتدبرته، ونظرت له: رحمته، وإليه: رأيته، وعليه: غضب عليه، ونظره انتظره.